العيد بين عادات وطقوس حاضرة وأخرى غيبتها السنون..

السياحة العيدية في إب..طقوس فرائحية وتزاور وصلة رحم

استطلاع/
عبدالباسط النوعة

تعد السياحة العيدية من أهم العادات والتقاليد التي يتميز بها مجتمعنا اليمني.. وهناك سمات مشتركة في طقوس العيد في جميع المحافظات.

"الثورة السياحي" استطلع آراء عدد من الناس في بعض مناطق محافظة إب حول المظاهر الفرائحية التي قاموا من خلالها بإحياء عيد الفطر المبارك فضلاً عن محاولة معرفة بعض المظاهر التي غابت عن المشهد وكانت حاضرة في حقب زمنية ماضية.لعل أبرز المظاهر التي اعتاد الناس عليها وتوارثوها جيلاً بعد جيل وظلوا محافظين عليها لأنها تمثّل جانباً دينياً يحرص الإسلام الحنيف على تجسيدها والحفاظ عليها.

وهذه المظاهر تتمثل في زيارة الأهل وتحديداً الأقارب من النساء والمحارم وهنا تتسابق الأسر على تقديم أصناف مختلفة من الكعك والحلوى والعصير، فضلاً عن الزبيب وما رافقه من اللوز والعتر والفستق، حيث يقوم الزائر بعد التحدّث عن الأحوال وكيف مر شهر رمضان المبارك بإعطاء قريبته بعض المال وتسمّى في محافظة إب أو معظم المناطق فيها بـ (العوّادة) بينما يطلق عليها في صنعاء بـ (العسب) حتى الأطفال من الجنسين يحصلون من أقربائهم الرجال وحتى النساء أحياناً على العوّادة) كذلك في إب يقوم الناس قبل بزوغ الشمس بزيارة المقابر، وربما أن هذه العادة موجودة في كثير من المناطق اليمنية وإن كانت وقت الزيارة تختلف من منطقة إلى أخرى، فبعض المناطق في إب حسبما أوضحه بعض الناس يقومون بزيارة مقابر موتاهم عقب صلاة الفجر وقبيل صلاة العيد ويقرأون سورة (يسن) ويضعون بعض الأعشاب الخضراء تحت حجر صغير على ذلك القبر حيث يقوم كل شخص زائر لقبر معين بوضع أعشاب خاصة به وهنا تستطيع معرفة كم شخص زار قبراً معيناً وأي القبور التي لم يزرها أحد وربما في صنعاء يكون الوقت بعد صلاة الفجر أو بعد زيارة الأقارب الأحياء تمر ويتم وضع الماء أيضاً على القبر لتشرب العصافير والطيور.

زيارات وجولات

بعد إكمال طقوس الزيارات للأحياء والأموات يتفرّغ البعض لاصطحاب أسرته في رحلات تنزه إلى مناطق تمثّل متنفسات خلابة حتى أن البعض منهم يخرجون من محافظاتهم قاصدين المحافظات الأكثر جمالاً وذات الشواطئ الجميلة أمثال: الحديدة، وعدن، وربما إب بحكم مواقع الاخضرار والينابيع العذبة في الوديان التي تشتهر بها المحافظة لتحظى بنسبة من هذه الزيارات وإن كان الوضع لهذا العام قد تغيّر كثيراً بسبب الأوضاع التي تمر بها اليمن والتي حتّمت على الكثيرين البقاء في منازلهم ومناطقهم ومنهم الأخ/ عبدالغني علاّمة الذي اعتاد في كل عيد سواءً عيد الفطر المبارك أو عيد الأضحى باصطحاب أسرته في رحلات سياحية داخلية إلى خارج صنعاء ولعل أبرز المناطق والمحافظات التي زارها ويحرص على زيارتها (الحديدة – عدن – وادي بنا في محافظة إب) مثلاً عيد الفطر المبارك للعام الماضي قام بجولة سياحية شملت (عدن – تعز – وادي ضباء) ومكث هناك ثلاثة أيام وعرج بعدها إلى وادي ضباء ودمت والعودة إلى صنعاء، إلا أن هذا العام ونظراً للظروف التي تمر بها اليمن فضل البقاء في منزله بصنعاء وعدم الخروج في رحلات سياحية خارج صنعاء. وكوكبان وغيرها من المناطق السياحية القريبة من صنعاء.

وعبّر (علاّمة) عن أسفه الشديد لعدم قيامه بجولة سياحية خارج صنعاء بعد أن أضحى عيد الفطر وكذا عيد الأضحى مناسبتان يتم انتظارهما كل عام للقيام بهذه الجولة وقد أتيحت له في السنوات الأخيرة معرفة الكثير من المناطق والمدن وكذا القرى ذات الجمال والحضارة العريقة في عموم محافظات اليمن.

ويمثّل هذا العيد بالنسبة له حالة استثنائية فقد مر كئيباً ومملاً.

عادات تتلاشى

وبالعودة إلى طقوس العيد في بعض مناطق محافظة إب يقول الأخ/ جوهري علي سعيد من أهالي مديرية السياني أن عيد الفطر المبارك لهذا العام ورغم الأوضاع التي تمر بها اليمن، إلا أن الفرحة كانت حاضرة لدى الكبار والصغار.

وأضاف: هناك عادات بدأت تتلاشى تدريجياً لا سيما عند فئة الشباب أبرزها زيارة الأهل والأقارب وإن كانت هذه العادة نسبة تلاشيها لا زالت قليلة، إلا أن عادة زيارة المقابر لم يعد يحرص عليها سوى القليل من الناس فضلاً عن التجمّع جوار المساجد قبيل صلاة العيد حتى تحضر الصلاة والكل أو قل معظم الناس كانوا يحضرون الخطبتين والصلاة لكن ورغم ازدياد الناس إلا أن ذاك التجمع لم يعد يحرص عليه أحد باستثناء بعض كبار السن، أما الصلاة والخطبتان فيتم الانتهاء منها ومعظم الناس لا زالوا في المنازل حتى أن الزيارات الأسرية بدأت تخفّ خاصة في المناطق الجبلية في حين كان الناس قديماً حتى وإن كانوا كبار سن والطرق وعرة، إلا أنهم يحرصون على هذه الزيارات التي تمثّل جوهر العيد وأهم مظاهره التي تفيد المجتمع وتجعله قوياً متماسكاً وكان من العيب أن يمر العيد ولا زالت هناك خصومة قائمة بين شخصين سواءً كانوا أقارب أو أبناء منطقة واحدة أما الآن فربما تستمر الخصومة أعياداً عدة.

أهازيج على وقع الطبول

وتحدث الحاج/ عبدالله سفيان من أهالي مديرية ذي السفال عن عادة ظلت ولزمن قريب حاضرة وبقوة يوم الأول من شوال والعاشر من ذي الحجة أي أيام الأعياد ومثّلت هذه العادة وهذا التقليد المتبع الذي تم توارثه منذ زمن بعيد بُعداً خاصاً لفرحة العيد حيث كان الناس يتجمعون في حلقات كبيرة جداً على وقع الطبول والأهازيج ورقصة البرع يعبّرون من خلالها عن فرحتهم بالعيد يجتمع الكبار والصغار من الذكور بعد أن يكملوا مناسكهم من الزيارات وغيرها ويظلوا هكذا حتى يحين وقت صلاة الظهر وهذه العادة كانت مبتعدة حسبما يتذكّر الحاج سفيان في عدد من مناطق المديرية حيث يتم تجمع ذلك العدد الكبير من الناس، ربما إلى قرية واحدة من قرى ثلاث أو أكثر، فمثلاً ممر أهالي قريته "الرباط" كانوا يتجمعون في أحد الأماكن الفسيحة في قرية أعلى من قريتهم "المقلد" وينضم إليهم أهالي قرية أخرى وهي قرية (حقير) وهذا ما جعل كبار السن الآن في تلك القرى يعرفون بعضهم البعض.

وتمنّى "سفيان" أن تعود الأيام إلى الوراء لتعود معها هذه العادة التي كانت تجعل للعيد مذاقاً خاصاً وتبعث الكثير من السعادة والفرح للأهالي الذين كانوا لا يهتمون كثيراً بجودة وقيمة ملابسهم والتفاخر بها بل كان البعض إن لم يكن الأغلبية لديه لباس واحد يدخره لأكثر من ثلاثة أو أربعة أعياد وربما أكثر بل أن البعض يغسل ملابسه القديمة ليلبسها يوم العيد ومع ذلك لا يمكن أبداً وصف مقدار الفرحة والسعادة التي كانت تزين حياة الناس في السنوات الماضية.

وأضاف: قبل عشرين عاماً تقريباً لم تكن هناك في المساجد مكبرات صوت ومع ذلك ومنذ بزوغ الضوء كانت التكبيرات تعجّ هنا وهناك حتى من قبل العيد "الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرةً وأصيلا" إلى آخره ولعلني أرى أن تلك الأصوات التلقائية آنذاك غلبت مكبرات الصوت الحديثة في قوتها ومقدار تأثيرها وحب الناس لها.

الأوضاع أثرت على فرحة العيد

ويقول الأخ/ يحيى محمد مهدي وهو مغترب يحرص دوماً أثناء تواجده في اليمن وفي منطقته "مدينة القاعدة" أن يصطحب أبناءه وبعضاً من أبناء جيرانه وأقاربه الصغار على متن سيارته يوم العيد في رحلة قصيرة إلى حديقة الألعاب العامة وحديقة الحيوان بتعز ويجعلهم يقضون أوقاتاً سعيدة في ذلك اليوم .

وقد أصبح الأطفال في حارته ينتظرون قدومه بفارغ الصبر ويحزنون كثيراً إن جاء العيد وهو غير موجود.

ويضيف: بعد أن أكمل تنزه الأطفال في الحديقة أتفرّغ بعدها لأسرتي بالكامل وأقوم بعمل جولة سياحية بهم جميعاً إلى أماكن ومدن جميلة وقد نقضي يومين أو ثلاثة على حسب الظروف ومقدار السعادة ولعل مدينتي عدن والحديدة أكثر المدن المحببة إلى قلبي للزيارة أيام الأعياد، ولكن ما يحدث هذه الأيام من اضطرابات وأزمات وحوادث سياسية انعكس سلباً على متعة هذا العيد وحال بيني وبين ما اعتدت عليه وهاانذا أقضي أيام العيد متجولاً بين الشوارع والأسواق في القاعدة.آملاً أن لا يعود هذا العيد أو عيد الأضحى القادم والأوضاع في يمننا الحبيب بهذا الشكل بل تعود أفضل مما كانت عليه قبل الأزمة بكثير.